بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ الدكتور أحمد سامر القباني

تعامل المصطفى ﷺ مع المخطئين

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله الذي هدانا لهذا الدين القويم، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، حمداً لك ربي على نعمائك، وشكراً لك على آلائك، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله ولا شيء بعده، وأشهد أن مُحَمَّداً ورسوله، صفيه من بين خلقه وحبيبه، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون.

وبعد عباد الله، فإني أوصيكم ونفسي المذنبة بتقوى الله تعالى، وأحثكم وإياي على طاعته، وأحذركم ونفسي من عصيانه ومخالفة أمره، وأستفتح بالذي هو خير، اعلموا أن خير الكلام كلام الله، وأن خير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وأن شر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢] .

إلهي لا تعذبني فإني ... مقر بالذي قد كان مني

وما لي حيلة إلا رجائي ... لعفوك إن عفوت وحسن ظني

وكم من زلة لي في الخطايا ... وأنت علي ذو فضل ومنِّ

إذ فكرت في ندمي عليها ... عضضت أناملي وقرعت سني

أهيم بزهرة الدنيا فتوناً ... وأقطع طول عمري بالتمني

ولو أني صدقت الزهد فيها ... قلبت بأهلها ظهر المجن

يظن الناس بي خيراً وإني ... لشر الخلق إن لم تعف عني

اللهم اعف عنا يا عفو، واغفر لنا يا غفار، وقنا عذاب النار. اللهم إني أعوذ بك من التكلف لما أعلم، كما أعوذ بك من العجب بما أعلم، وأعوذ بك اللهم من السلاطة والهذر، كما أعوذ بك من العِيِّ والحَصَر، أعذني ربي من حَصَر وعيٍّ، ومن نفس أعالجها علاجاً.

وبعد أيها الإخوة المؤمنون: ونحن في حديثنا عن نبي الرحمة مُحَمَّد ﷺ، استوقفني عنوان في كتب الشمائل التي تتحدث عن أخلاق النبي ﷺ وسلوكه، هذا العنوان الذي استوقفني هو تعامل النبي ﷺ مع المذنبين والمخطئين وأصحاب الكبائر والصغائر من الذنوب، كيف كان يتعامل رسول الله ﷺ مع المذنبين والمخطئين، الذين يرتكبون المعاصي والآثام، صغائرها وكبائرها، كيف كان تعامل النبي ﷺ مع هذه الفئة من الناس، ولقائل أن يقول: مع فئة من الناس؟ أوليس كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون؟ أوليست العصمة لم تكتب لأحد إلا للأنبياء والرسل وقبلهم ملائكة الرحمن؟ وبالتالي كلنا من هذه الفئة، من المخطئين والمذنبين، الذين يقترفون الذنوب في ساعة ضعف وغياب مقام الإحسان عنا، فنحن في مقامات ثلاثة في ديننا، في مقام الإسلام، ومقام الإيمان، ومقام الإحسان، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنك يراك، قد يغيب مقام الإحسان عنا -هذا كلام رسول الله، هذا الحديث صحيح، أنتم تحفظونه- إذا غاب عن أحدنا مقام الإحسان -وهو مراقبة الله عز وجل- وضعفت نفس الإنسان قد يقع في الذنوب والآثام، وبالتالي نجد أنَّ الشرع أعطى إعفاءً لِفئة من الناس، هذا الإعفاء يتجلى في قول سيد الخلق مُحَمَّد ﷺ: ((رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)) فيقول واحد من الناس: إذاً عندما نخطأ فنحن غير محاسبين لأن رسول الله ﷺ هو الذي يقول: رفع عن أمتي الخطأ يعني إثم الخطأ وإثم النسيان وإثم ما استكرهوا عليه، أي إذا أكرهك إنسان على فعل شيء من الأشياء ففعلته، والجواب -أيها الإخوة الكرام- أننا وجدنا علماءنا وفقهاءنا قالوا: إن الإنسان المخطئ يُحاسب دنيوياً إذا أخطأ، ولا يُحاسب يوم القيامة، ولكن عن أي خطأ نسأل، وعن أي خطأ نتكلم، إنه الخطأ الذي لا يقصده الإنسان، ولا نَعني به الذنب والمعصية، فهذا شيء والذنب والمعصية شيء آخر، إنسان أخطأ في مكان ما، في زمان ما، في مسألة ظنَّ أن ما يفعله هو الصواب، فإذا به خطأ، هذا خطأ، أما المعصية فذنب واضح، وتعامل النبي صلى الله

عليه وسلم يتجلى مع كل فئة من الفئتين: الفئة الأولى: المذنبون الذين اقترفوا المعاصي والآثام. والفئة الثانية: الذين أخطؤوا دون عمد، أو اقترفوا مخالفةً ولم يقصدوها.

أولاً: الخطأ الذي يَقترفه صاحبه دون أن يقصده [إنسان فايت هيك طرق الباب هيك فتح الباب خبط إنسان على وشو نزلو الدم] هذا خطأ، [إنسان عم يرجع على سيارة واحد تاني طرقلو ياها، هذا خطأ ما يقصد أن يطرق السيارة] كيف تعامل الشرع مع ذلك، يُحاسب الإنسان دنيوياً والدليل: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ [النساء: ٩٢] عليه الدية، الذي يقتل إنساناً خطأً [دعسو بالسيارة] وما شابه ذلك، اشتبه بالليل أنه يَصيد صيداً فأصاب إنساناً فقتله، هكذا نص الفقهاء، يُحاسب دنيوياً، عليه الدية وعليه الكفارة، الدية مائة من الإبل، تجب على العاقلة، والعاقلة يعني العشيرة، تُدفع في ثلاث سنوات، هذه دِية القتل الخطأ، وما نراه اليوم أنهم يدفعون ٥٠٠ ألف أو مليون هذا اسمه صلح عن الدية، الدية اليوم غالية جداً ١٥-٢٠ مليون ليرة، هذا صلح عن الدية، وكثير من الناس ينسون الموضوع الآخر وهو الكفارة، الدية حق العباد، ولكن الكفارة حق الله، فتصوم شهرين متتابعين ليس فيهما عيد، فإذا توسط العيد بين الشهرين أعدت الصيام ، تُعيد صيام شهرين من أولها، صيام شهرين متتابعين، إذاً حاسب الإسلام المخطئ على خطئه في الدنيا، لكن هذا الإنسان لم يقصد أن يدهس هذا الإنسان بسيارته، لم يقصد أن يصدمه وأن يقتله، هذا الإنسان المخطئ لم يَقصد المعصية ولم يقصد الإثم، يُحاسب في الدنيا، ويوم القيامة يُرفع عنه إثمه، إذا قام بما أُمر به في الدنيا من أداء الحقوق، حقوق الله وحقوق العباد، ونَضرب على ذلك مثالاً، أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما، عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: بينا نحن جلوس عند النبي ﷺ -بينا يعني بينما- بينا نحن جلوس عند النبي ﷺ، إذ جاءه رجل، وقال: يا رسول الله، هلكت، فقال عليه الصلاة والسلام: ما صنعت؟ قال: وَقعت على امرأتي وأنا صائم، [أي في رمضان] فقال عليه الصلاة والسلام: أعتق رقبة. هذه الكفارة، حاسب المخطئ، قال: أعتق رقبة. قال: والله يا رسول الله لا أجد ما أعتق به رقبة، فقال النبي ﷺ: إذاً صم شهرين متتابعين قال: يا رسول الله، وهل أوقعني بذلك يا رسول الله إلا الصيام! فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أطعم ستين مسكيناً. قال: والله يا رسول لله لا أجد ما أطعم به أحداً ، قال

سيدنا أبو هريرة: فجلس رسول الله ﷺ غير بعيد، يعني بقي الأعرابي جالساً وسيدنا مُحَمَّد جالساً غير بعيد، [لم تمر مدة طويلة] فجاء أحد الصحابة بِعَرَق من تمر -ورد التحريف في رواية الحديث في بعض الروايات بعذق، وهذا التحريف، والعرق هو الزنبيل الكبير، يعني هي سلة القش الكبيرة، ممتلئة بالتمر- بعرق فيه تمر، وقال يا رسول الله، هذه صدقة، فقال النبي ﷺ لهذا الأعرابي الذي وقع على امرأته وجلس يشتكي- فقال: خذه وتصدق به، قال: على أفقر مني يا رسول الله، والله ما بين لابتيها -ما بين ركني المدينة المنورة- أهل بيت أفقر منا. يقول سيدنا أبو هريرة: فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه -مؤخر الأسنان- وقال: خذه وأطعمه أهلك. وجاء في رواية أخرى: ((ولا تُجزئ أحداً بعدك)) يعني هذا خصوصية لك، قال شراح الحديث من الإمام النووي على مسلم، وبدر الدين العيني على البخاري، وابن حجر قال: لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم علم صدقه [يعني فعلاً إنسان صادق، وفعل ارتكب هذا الذنب بلحظة ضعف].

إذاً الخطأ في الدنيا يُحاسب عليه الإنسان، ويُرفع إثمه يوم القيامة بشرط أن يؤدي الكفارة التي تطلب منه، ولكن ما بَال الذنوب الأخرى؟ هذا الخطأ فهمناه، إنسان يقترف معصية يقترفها عمداً متعمداً، كيف كان يتعامل النبي ﷺ مع المذنبين، وقد ذُكر هذا الفصل -تعامل النبي ﷺ- تحت عدة عناوين في كتب الشمائل: رفقه ﷺ بالمذنبين من أمته، رحمته ﷺ بالمذنبين من أمته، عفوه ﷺ عن المذنبين، بعناوين عدة وردت تبين أن الإنسان المؤمن ليس معصوماً، وإنما يُطلب منه الاعتصام، فإذا وقع في ذنب فواجبك أنت أيها المؤمن أن تُذكره بالله:

أولاً مقام النصيحة، ((الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)) مقام النصيحة الذي يُطلب من كل مؤمن أن يفعله، ولكن بلبوس الحكمة والموعظة الحسنة، كان أحد أشياخنا رحمه الله يقول: يا أبنائي الحق مرٌّ على النفوس، الحق مر، فأسيغوه بملعقة من العسل فقالوا: يا سيدي، وما ملعقة العسل؟ قال: الكلمة الطيبة، الحق مرٌّ على النفوس، فأسيغوه بملعقة العسل، الكلمة الطيبة، أليس هذا قرآنا نقرأه؟ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] مين؟ قال: [المشركين، شو يعني المشركين؟ عبدة الأصنام، يصنع صنماً ويعبده، قال الله للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ليس بالحسنى، فهناك فرق بين الحسنى وبين التي هي

أحسن، الحسنى هو الإحسان، أما التي هي أحسن يعني أرقى شيء من مقامات الإحسان، يجب أن تجادل وأن تحاورهم يا مُحَمَّد صلى الله على سيدنا مُحَمَّد، نعم كلنا هذا الرجل، المقام أولاً مقام نصيحة.

ثانياً: مقام التعليم، كان الرسول ﷺ إذا وجد إنساناً مخطئاً يعلمه، وهذا البحث يَطول، ولكني أنقل لكم حادثتين: الحادثة الأولى أخرجها البخاري في صحيحه، وهذه الحادثة تتكلم عن أعرابي أنتم تسمعون باسمه هو صحابي جليل اسمه الأقرع بن حابس في بداية إسلامه، لما جاء إلى النبي ﷺ وأسلم، يقول سيدنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه: -والحديث في صحيح البخاري- جاء أعرابي إلى مسجد النبي ﷺ، فما لبث أن قام فبال في المسجد، بال من البول في مسجد النبي ﷺ أعظم ثلاثة مساجد في الدنيا: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد النبي ﷺ، فما لبث أن بال في المسجد، فقام الناس إليه ليضربوه، فقال عليه الصلاة والسلام: ((دعوه لا تُزرموه)) أي لا تقطعوا عليه بوله، ثم انتهى الرجل مِن البول، فدعاه النبي ﷺ، قال له سيد الخلق مُحَمَّد ﷺ: ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا النجس والقذر، وإنما هي للصلاة وذكر الله وقراءة القرآن)) [شوفوا التعليم وعدم الزجر، نفس الحادثة حدثت مع صحابي آخر اسمه ذو الخويصرة اليماني] أخرج حديثه الترمذي في سننه والبخاري في صحيحه، وراوي الحديث أيضاً سيدنا أبو هريرة رضي الله تعالى عنه، يقول سيدنا أبو هريرة: كنا مع النبي ﷺ، فدخل أعرابي فرفع يديه إلى السماء، فقال: اللهم ارحمني ومُحَمَّداً ولا ترحم معنا أحداً [أنتوا كلكم الله ياخدكم، هيك معنى الحديث] ارحمني ومُحَمَّداً -طبيعي- ولكن لا ترحم معنا أحداً، [هذا دعاء مشكلة، الباقي الله لا يرحمهم هذا؟ مشكلة] شرعاً هذا لا يجوز، يقول سيدنا أبو هريرة: فنظر الناس إليه شزراً [أنو الله لا يعطي شيطانك عافية، عم تدعي علينا كلنا الله لا يرحمنا؟ هذا أمر مو سهل] قال: فدعاه النبي ﷺ فقال له: ((لقد حجرت واسعاً)) لأن الله تعالى قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] [وأنت تقول: ارحمني ومُحَمَّداً] ((لقد حجرت واسعاً)) يقول سيدنا أبو هريرة: فما لبث أن قام فبال في المسجد -هذا الرجل ذو الخويصرة اليماني- فقام الناس إليه ليضربوه، [لأنه هذا الشيء فعلاً منظر بوسط المسجد ببيت الله] فقال لهم عليه الصلاة والسلام: ((دعوه)) [اتركوا حتى يكمل] فلما انتهى دعاه رسول الله ﷺ، فالتفت إلى الصحابة وقال لهم: ((إنما بُعثتم

مُيسرين، ولم تُبعثوا مُعسرين)) والتفت إليه وقال له: ((إن هذه المساجد لا تَصلح لشيء من هذا، إنما هي للصلاة وذكر الله تعالى)) إنما بُعثتم ميسرين [شو ميسرين، عم يبول بالجامع ببيت الله، وبمسجد النبي ﷺ] قال: إنسان جاهل يُعلمه رسول الله ﷺ، يُعلمه أولاً: النصيحة مع المخطئ، وأعلى درجات الإحسان في النصيحة ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] الشيء الثاني: التعليم، نصيحة بالحكمة والموعظة الحسنة، والتعليم.

أختم الخطبة بهذا الحديث، أخرج مسلم في صحيحه، عن سيدنا معاوية بن الحكم السلمي رضي الله تعالى عنه، يقول سيدنا معاوية بن الحكم السلمي: بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم –تصوروا المشهد، سيدنا الرسول واقف يصلي بالناس والصحابة وراءه] إذ عطس واحد من القوم، قال: فقلت له في الصلاة: يرحمك الله، قال فرماني القوم بأبصارهم، بمعنى نحن في الصلاة، قال: فنظر إليهم، فقال لهم: [وهم في الصلاة] واثكل أماه، ماذا فعلت؟ قال: فوجدت القوم يَضربون بأيديهم على أفخاذهم قال: فلما رأيتهم يُصمتونني سكت، يقول سيدنا معاوية بن الحكم: قال: فلما انصرف النبي ﷺ من الصلاة –يعني انتهى من الصلاة– فبأبي هو وأمي، والله ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، قال لي: ((هذا الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)).

هكذا عنون أصحاب كتب الشمائل في رفق النبي ﷺ ورحمته، عنواناً خاصاً رحمة النبي ﷺ بالمخطئين والمذنبين، تَكلمنا عن الخطأ، نُرجئ تعامل النبي ﷺ مع المذنبين، كيف كان يتعامل مع أهل المعاصي والآثام من الكبائر والصغائر إلى الخطبة القادمة، أسأل الله تعالى أن يَجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ﴿أُولَئِكَ الذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُم أُولو الأَلبَاب﴾ [الزمر: ١٨] وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، استغفروا الله يَغفر لكم، فيا فوز المستغفرين.

بتصرف